

كتاب (تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي)

دراسة في مادته وأهميته العلمية

أ.د. مقدم عبد الحسن الفياض

الباحثة حنان حميد حسين

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

سعت العديد من الدراسات الاكاديمية الحديثة إلى العناية بسيرة المؤرخين والتعريف بإنجازاتهم، لما أسهم به هؤلاء من نتاجاتٍ علميةٍ وفكرية، تركت أثراً بارزاً وبصمات واضحة المعالم على الحياة الثقافية في المجتمع. كشفت هذه الدراسة بمبحتها عن المحطات الرئيسية من حياة للدكتور عبد الله الفياض والتعريف بأعماله البحثية وكتاباتهِ التاريخية، حيث حمل المبحث الأول عنوان (الدكتور عبد الله الفياض سيرته ودراسته ومؤلفاته) متناولاً السيرة العلمية والمهنية للفياض منذ ولادته وحتى وفاته والتعريف بمؤلفاته المطبوعة وبحوثه في التاريخ الإسلامي والحديث، والتي استفادت منها اجيالاً متعاقبة من المؤرخين ، وكرس المبحث الثاني الذي عنوانه (كتاب تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي)، لعرض ودراسة الكتاب نفسه والذي عد أحد أهم نتاجات الفياض في حقل التاريخ الإسلامي، معتمداً فيه المنهج العلمي الاكاديمي المستند على النقد والتحليل والاستنتاج، والتعمق في دراسة الحوادث، والتحقق من صحتها. اعتمدت الدراسة على عددٍ من الدراسات والأبحاث ذات الصلة بموضوع البحث، كان في مقدمتها الإضبارة الشخصية للدكتور عبد الله الفياض، والتي تضم بين دفتيه المئات من الكتب الرسمية التي توثق حياته المهنية والعلمية بدقة، الى جانب مؤلفاته المطبوعة لا سيما كتابه موضوع البحث.

المبحث الأول: الدكتور عبد الله الفياض سيرته ودراسته:

ولد الدكتور السيد عبد الله الفياض عام ١٩١٧م، في قضاء الرفاعي التابع للواء المنتفك (محافظة الناصرية حالياً)^(١). ونشأ في كنف ورعاية أبوين علويين مستنداً إلى عشيرته التي

كان لها شأن مرموق في مجتمع الرفاعي، وظهر متأثراً بالقيم والتقاليد الدينية والعشائرية التي كانت تعيشها أسرته^(٢). متلقياً دروسه الأولى في الكتاتيب على أيدي ما يُسمون (الملاي)، أعقبها دخوله التعليم الرسمي الذي تشرف عليه وزارة المعارف يوم ذاك، ملتحقاً بمدرسة الكرادي الابتدائية (مدرسة الرفاعي لاحقاً) والتي أسست عام ١٩٢٢م في قضاء الرفاعي، منتقلاً بعد ذلك إلى مدينة النجف الأشرف ليكمل تعليمه، فانتمى إلى ثانويتها التي تحمل أسم المدينة^(٣). وبعد أن أنهى عبد الله دراسته الثانوية عام ١٩٣٩م في مدينة النجف الأشرف، توجه نحو العاصمة بغداد، وقُبل طالباً في دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً)، وأمضى فيها أربعة أعوام (١٩٤٠-١٩٤٤م)^(٤)، وتحديداً في قسم العلوم الاجتماعية، ومُنذُ مراحل دراسته المُبكرة أتقن اللغة الإنكليزية وأفصح عن مواهبه في البحث والتأليف، فأنجز أول كتاب له في حقل التاريخ^(٥) وهو لما يزل طالباً في المرحلة الثالثة^(٦)، ثم تخرج من الدار على أيدي نخبة من مؤرخي العراق، حاملاً شهادة الليسانس^(٧) مع مرتبة الشرف^(٨). ثم التحق بكلية الحقوق المسائية التابعة لجامعة بغداد، حاصلًا على شهادة ليسانس (البكالوريوس) في الحقوق عام ١٩٥٠م^(٩).

ظل طموح الفيّاض قائماً في مواصلة دراسته حتى بعد حصوله على شهادتي ليسانس، متطلعاً إلى الغاية الأسمى وهي الدراسات العليا، وأهله تفوقه الدراسي وكفاءته الوظيفية لنيل منحة الحكومة الامريكية التي خصصتها لجماعة من الطلبة العراقيين، فالتحق بالبعثة الدراسية لكلية الآداب بالجامعة الامريكية في بيروت، وحصل خلالها على شهادة دبلوم عالي في التاريخ عام ١٩٥٣م، وشهادة الماجستير في التاريخ الحديث عام ١٩٥٤م^(١٠). ولم يكتفي الفيّاض بما حصل عليه من مؤهل علمي ومهارة تدريسية عالية، انما كان طموحه أوسع، ففي تشرين الأول عام ١٩٦٤م التحق من جديد بالجامعة الامريكية في بيروت بموجب الامر الجامعي الذي تقرر

فيه منحه إجازة لمدة سنة واحدة وبراتب تام وبشروط حصوله على شهادة الدكتوراه خلال تلك المدة حصراً، لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي^(١١).

بدأ عبد الله الفيّاض مشواره التربوي التعليمي منذ منتصف أربعينيات القرن العشرين، فكان أول تعيين له مُدرّساً في (ثانوية الناصرية للبنين) في مدينة الناصرية (مركز لواء المنتفك)، ثم عزم الفيّاض على الانتقال إلى العاصمة بغداد والاستقرار بها، منتقلاً بين عدد من مدارسها^(١٢). وبعد مدة عشرة سنوات قضاها في التعليم الثانوي، صدرت الإرادة الملكية بنقله من مُدرّس في الملاك الثانوي إلى أستاذاً في دار المعلمين العالية بقرار من وزارة المعارف عام ١٩٥٤م^(١٣). وبرز دوره في حقل الدراسات التاريخية في كُليّتي التربية والآداب أكاديمي متميز، مضطلع بتدريس حقبات من التاريخ الإسلامي، وتاريخ العراق الحديث، فضلاً عن منهج البحث التاريخي.

ولم تكن كُليّتي التربية والآداب هي المحطة الوحيدة التي مارس فيها عبد الله الفيّاض التدريس، فقد قام بتدريس التاريخ الإسلامي خلال صيف عام ١٩٦٦ في الجامعة الأمريكية في بيروت^(١٤). يضاف إلى ذلك فقد عمل بوصفه أستاذاً زائراً في جامعة مارتن لوثر في مدينة هالة (Martin-Luther University of Halle) والتي تعد من أقدم الجامعات في ألمانيا الديمقراطية بدعوة منها للتدريس في جامعتها، تنفيذاً لاتفاق الصداقة بين الجامعتين (بغداد ومارتن لوثر)، فضلاً عن أنه عمل محاضراً أيضاً للتاريخ الإسلامي في كُلية الفقه في مدينة النجف الأشرف^(١٥). وفي كلية أصول الدين في بغداد، منذ تأسيسها عام ١٩٦٤م، إلى جانب أشغاله منصب معاون العميد، وتوليّه شؤون عمادتها بالوكالة منذ نهاية عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٧٣م^(١٦). أحيل الفيّاض إلى التقاعد وقد أمضى في خدمة التعليم أكثر من ثلاثين عاماً، بالأمر الوزاري المرقم (١٨٩٧٢) في ٩ نيسان عام ١٩٧٨م، تنفيذاً لقرار مجلس قيادة الثورة ذي العدد (٤١٠) في ٢٨ آذار من العام نفسه^(١٧).

اعتلت صحة الدكتور عبد الله الفيّاض، وأصيب في مطلع ثمانينات القرن الماضي بمرض عضال، فتوفي على أثره في تشرين الثاني عام ١٩٨٤م، عن عمر ناهز (٦٧) عاماً، قضى معظمه في الدراسة والبحث والكتابة.

ترك الفيّاض اثراً علمية قيّمة، تناولت جوانب مهمة في حقول المعرفة، حيث ألف خلال سني حياته ستة عشر كتاباً مطبوعاً، تنوعت مضامينها في شتى الموضوعات التاريخية، ليتحف المجتمع كتباً مهمة ونافعة، عكست رغبته واهتمامه في حقل التاريخ الإسلامي، وتاريخ العراق الحديث والمعاصر. إلى جانب أنجازه عدد من الكتب (مخطوطة)، جمعها وكان في نيته الشروع بطبعها. ومما يؤسف له أنها لم يقدر لها ان ترى النور، إذ فقدت من مكتبته الخاصة، بعد وفاته بمدة (١٨). ويمكن القول ان باكورة التأليف لديه ترجع إلى منتصف عقد أربعينيات القرن العشرين. ولنشاطه في حقل اختصاصه، عهدت إليه وزارة المعارف العراقية آنذاك بتأليف كتب علمية منهجية، فألف أربعة كتب بالاشتراك مع أساتذة كبار، خلال مدة عمله في التعليم الثانوي، واعتمدها الوزارة في حينها كمقررات مدرسية لأعوام كثيرة، وطبعت عدة طبعات، ومنها كتاب (تاريخ بلادك وأمتك في عصره الذهبي)، و(مرشد طالب البكالوريا الى الجغرافية المتوسطة)، (الجغرافية المتوسطة). وفيما يلي جدولاً بمؤلفات الدكتور عبد الله الفيّاض المطبوعة.

ت	عنوان الكتاب	سنة الصدور	المطبعة	مكان المطبعة	عدد الصفحات	موضوع الكتاب
١	التاريخ العربي	١٩٤٦	مطبعة النجاح	بغداد	٢٠٣	(تاريخ اسلامي)

٢	تاريخ البرامكة	١٩٤٨	مطبعة الرشيد	بغداد	١٨٦	تاريخ اسلامي
٣	تاريخ بلادك وأمتك في عصره الذهبي	١٩٤٨	شركة التجارة للطباعة المحدودة	بغداد	١٩١	(تاريخ اسلامي)
٤	مرشد طالب البكلوريا إلى الجغرافية المتوسطة	١٩٥٠	المطبعة العربية	د.م		(تاريخي / جغرافي)
٥	الجغرافية المتوسطة	١٩٥٢	مطبعة الراعي	بغداد	٢٠٣	(تاريخي جغرافي)
٦	مشكلة الأراضي في لواء المنتفك	١٩٥٦	مطبعة سلمان الاعظمي	بغداد	٢٠٣	تاريخ العراق المعاصر
٧	مشاهداتي في تركيا	١٩٥٦	مطبعة سلمان الاعظمي	بغداد	٨٠	وصف رحلات
٨	الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م	١٩٦٣	مطبعة الارشاد	بغداد	٤١٤	تاريخ العراق المعاصر
٩	مشاهداتي في إيران	١٩٦٧	مطبعة الايمان	بغداد	١٢٧	وصف رحلات
١٠	الاجازات العلمية عند المسلمين	١٩٦٧	مطبعة الارشاد	بغداد	١٣٤	تاريخ اسلامي
١١	محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية	١٩٦٧	مطبعة الارشاد	بغداد	١٢٢	تاريخ اسلامي

١٢	الحركة الفدائية في الإسلام قديماً وحديثاً	١٩٧٠	مطبعة أهل البيت	كربلاء	١٠٨	تاريخ اسلامي ومعاصر
١٣	تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة	١٩٧٠	مطبعة أسعد	بغداد	٢٢٢	تاريخ اسلامي
١٤	تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	٣٩٩	تاريخ اسلامي
١٥	مشاهداتي في المانيا الديمقراطية	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	١٢٧	وصف رحلات
١٦	التاريخ فكرةً ومنهجاً دراسة في التاريخ واصول بحثه	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	١٦٠	منهج بحث

وانصرف الفياض إلى متابعة البحث والتنقيب، فقد بذل فضلاً عما تقدم جهوداً كبيرة وقائمة في إعداد بحوثٍ ومقالاتٍ تنوعت أغراضها، وتباينت موضوعاتها باختلاف مضامينها، إلا أن معظمها دخل في حقل الدراسات التاريخية الإسلامية. عارضاً نتاجه الفكري على صفحات العديد من المجالات العراقية، وفيما يلي جدولاً تفصيلياً بما حصلت عليه الباحثة من بحوث الفياض ودراساته المنشورة:

ت	عنوان المقال	اسم المجلة	العدد	التاريخ	عدد الصفحات	الاختصاص
١	الجامعة العراقية	البطحاء	العدد ١	١/ نيسان/ ١٩٤٦ م.	٢	تعليم
٢	البنوك المركزية (جزئين)	البطحاء	العدد ٤ العدد ٥	٢٥ / ايار / ١٩٤٦ م ١٥ / حزيران / ١٩٤٦ م.	٢	اقتصاد
٣	أور الكلدانيين (خمسة أقسام)	البطحاء	العدد ٦ العدد ٧ العدد المزدوج ٩-٨ العدد ١١ العدد ١٢	٧/ تموز/ ١٩٤٦ م ٢٧/ تموز/ ١٩٤٦ م ١٥ / آب / ١٩٤٦ م ١ تشرين أول/ ١٩٤٦ م ١٨ تشرين أول/ ١٩٤٦ م	١٠	تاريخ قديم

٤	كرم البرامكة دليل على سعة نفوذهم	دار المعلمين العالية	العدد ٢	حزيران ١٩٤٦م	٢	تاريخ إسلامي
٥	تعليق على مقال	البيان	العدد ٥٦	١٩٤٩/١٩٤٨	٢	تاريخ إسلامي
٦	تدوين التاريخ عند المسلمين (جزئين)	الاستاذ	المجلد ٤ المجلد ٥	١٩٥٥م ١٩٥٦م	٣٢	تاريخ إسلامي
٧	محاضرات في تاريخ العرب	الاستاذ	المجلد ٥	١٩٥٦	١٠	تاريخ إسلامي
٨	الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام	الأستاذ	المجلد ١٠	١٩٦٢م	٨	تاريخ إسلامي
٩	الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر	الاستاذ	العدد ١١	١٩٦٣م	١٥	تاريخ حديث

١٠	التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين	الاستاذ	العدد ١٢	١٩٦٤م	١٦	تاريخ إسلامي
١١	صور من آداب المعلمين والمتعلمين في الإسلام	رسالة الإسلام	العدد ٢	١٩٦٦م	٥	تاريخ إسلامي
١٢	العقل عند الغزالي	رسالة الإسلام	العدد ٣	ايار ١٩٦٦م	٢٠	تاريخ إسلامي
١٣	دور الامام الصادق في التربية والتعليم عند الامامية	رسالة الإسلام	العدد ٥ العدد ٦	كانون الأول ١٩٦٦م	٦	تاريخ إسلامي
١٤	كتابان في شخصية الامام علي (ع)	العدل	الجزء ٨	١٩٦٧م	١	تاريخ إسلامي
١٥	الخلافة العباسية في العهد البويهى	رسالة الإسلام	العدد ١ العدد ٢	١٩٦٧م	٢٣	تاريخ إسلامي
١٦	الخلافة العباسية في عهد السلاجقة	رسالة الإسلام	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	١٣	تاريخ إسلامي

١٧	كتب الامالي عند الشيعة الإمامية	الايمان	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	٥	تاريخ أسلامي
١٨	حياة أمير المؤمنين (عليه السلام)	الايمان	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	٤	تاريخ أسلامي
١٩	السبأية بين الحقيقة والخرافة	الايمان	العدد ٧ العدد ١٠	١٩٦٨م	١٧	تاريخ أسلامي
٢٠	دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الإمامية	رسالة الاسلام	العدد ٧ العدد ٨	١٩٦٨م	١٢	تاريخ أسلامي
٢١	التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس (جزئين)	رسالة الاسلام	العدد المزدوج ٤-٣ العدد المزدوج ٦-٥	كانون الثاني ١٩٦٩م أيلول ١٩٦٩م	١٦	تاريخ أسلامي
٢٢	الفدائيون من أهل الثغور وواجبنا نحوهم	رسالة الاسلام	العدد ٩ العدد ١٠	١٩٦٩م	٨	تاريخ حديث ومعاصر

٢٣	الغلو والغلاة وموقف الشيعة الإمامية منها	رسالة الاسلام	العدد ٣ العدد ٤	١٩٧٠م	٤٤	تاريخ إسلامي
٢٤	دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهي	المجلة التاريخية	العدد ١	١٩٧٠م	١٦	تاريخ إسلامي
٢٥	نسخ خطية نادرة من القرآن الكريم في مكتبة غوتا	رسالة الاسلام	العدد ٥ العدد ٦	شباط / ١٩٧٠م	٥	تاريخ إسلامي
٢٦	العلم وقواعد العقائد بين الغزالي في حياته والكاشاني في محجته	رسالة الإسلام	العدد ١ العدد ٢	١٩٧٣م	٢٧	تاريخ إسلامي
٢٧	الصلة بين حركة التجديد والإصلاح في العراق وحركة الافغاني الاصلاحية	المجلة التاريخية	العدد ٣	١٩٧٤م	١٥	تاريخ حديث

المبحث الثاني: كتاب (تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي):

أحد الكتب القيمة والدراسات البحثية المهمة التي قدمها الدكتور الفيّاض، وأخذ شهرة علمية واسعة، وهو في الأصل اطروحة قدمها إلى الجامعة الامريكية في بيروت، ونال بها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ عام ١٩٦٦م. صدر بطبعتين الاولى عام ١٩٧٢م بمطبعة أسعد في بغداد، والثانية عام ١٩٨٣م بمطبعة الدار المتحدة للنشر في دمشق. ضاماً بين دفتيه ثلاثمائة وتسع وتسعين صفحة في الطبعة الأولى، وثلاثمائة وأربع وستين صفحة في الطبعة الثانية، بعد الزيادات الكثيرة التي اضافها اليه. مقسماً إلى مقدمة للمؤلف وستة فصول وملاحق، وخلصتين باللغة العربية والإنكليزية، ومن الواضح ان جامعة بغداد قد ساعدت على نشره (١٩).

واستهل المؤلف الكتاب بتصدير للأستاذ محمد توفيق حسين (٢٠)، تحدث فيه بشكل موجز عن نشوء النظام التربوي للحركة العلمية الإسلامية وأساليبه. مثنياً على جهود المؤلف بسطور ختم بها مقدمته (٢١)، بينما تضمنت مقدمة المؤلف تعريف (الشيعة الامامية)، موضحاً من خلاله نشأتهم، مشيراً بعدها إلى العقائد الأساسية لتلك الفرقة (٢٢)، وبين المؤلف في المقدمة ذاتها الفروق الأساسية بين الامامية وبين سواهم من الفرق الشيعية الأخرى (٢٣) مؤكداً اشتراك التربية عند الامامية في كثير من المفاهيم مع التربية عند الفرق الإسلامية الأخرى، معللاً ذلك بأن الأسس التي بُنيت عليها التربية عند الجميع واحدة، متمثلاً بوحدة الكتاب السماوي، ووحدة التراث الحديثي الوارد عن النبي محمد (9)، أما الاختلاف الذي نشأ بعد ذلك فهو في التفاصيل (٢٤)، موضحاً في ختامها أهم المصادر التي أستقى منها معلومات الكتاب (٢٥).

استعرض المؤلف في الفصل الأول والمعنون (العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة) مجموعة من العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية، ملخصها

بثلاثة عوامل، وهي: اعتقاد الشيعة الامامية بعلوم أئمتهم. وانهم امتداد لعلوم النبي (ﷺ)، ورثوه منه، ودونوه في كتب خاصة أطلق على بعضها الجامعة أو الجفر، ومصحف فاطمة، الا ان المؤلف يشير إلى عدم أهمية تلك المدونات في وقتنا الحاضر لعدم وجودها^(٢٦)، إلى جانب وجود الكتب الحديثية الأربعة والتي تنسب مضامينها إلى الأئمة الاطهار. أمّا العامل الثاني فقد شرح المؤلف فيه الموقف السياسي للأئمة المعصومين وموقف السلطة الحاكمة منهم، موضحاً تأثير العامل السياسي وبشكل كبير على النظام التربوي عند الامامية، حيث أضطر الأئمة إلى الابتعاد عن السياسة، والانصراف إلى الوعظ والتدريس، ودعوة أتباعهم إلى ذلك، ومن أهم توابع العامل السياسي هو التضيق على كثير من تعاليم الأئمة، واضطرارهم الكتمان في كثير من الأحيان، ما أدى إلى استخدامهم مبدأ التقية لحماية أنفسهم وحقق دمائهم^(٢٧). مناقشاً في العامل الثالث، الموارد المالية للأئمة المعصومين، مشيراً ان الأموال التي تجبى إلى الأئمة ونوابهم بعد الغيبة من الحقوق الشرعية، كالزكاة والخمس، كان الأئمة ينفقون قسماً منها على التعليم. مستشهداً برواية للإمام الرضا (A)، يقول فيها: " ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا..."^(٢٨)، ويعلق الفيّاض على رواية الامام بما نصه: " ان كلمة الدين الواردة في النص تشمل فيما تشمل الانفاق على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية ودرسها". ويتابع المؤلف عرضه مشيراً الى أنّ النشاط التعليمي والعلمي عند الامامية لم يقتصر على علوم الدين والمذهب فحسب، وانما تعداه إلى علوم أخرى كعلم الفلك والنحو والفلسفة والطب^(٢٩).

تناول المؤلف في الفصل الثاني المعنون (امكنة التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة) بحثاً مستفيضاً عن أمكنة التعليم عند الشيعة الامامية، معترفاً في مطلعته بقوله: " من الصعب ان نرسم خطأ فاصلاً بين مؤسسات التعليم الأولى عند الامامية وعند غيرهم من المسلمين"^(٣٠)، منتقلاً بالحديث عن بدايات التعليم الاولي، مشيراً في الوقت نفسه إلى فقدان الكتاتيب صلاحيتها بتعليم

صبيان الامامية في العصر الاموي، لان معلمهم يُعلمون فضائل معاوية دون ذكر فضائل أهل البيت (%) (٣١). مبيناً أهمية المساجد ودورها في التعليم والعبادة معاً، على الرغم من خضوعها لرقابة السلطات الاموية مما فسره المؤلف اضطراب علماء الامامية إلى عدم التصريح بأسماء أئمتهم الذين يروون عنهم، واللجوء إلى الكنى للإشارة إليهم (٣٢). موضحاً ما يجري في مرقد الائمة من نشاط تربوي كبير، وتمتع الامامية بتدريس علومهم بعيداً عن مراقبة السلطات، ومنها مرقد الامام علي بن ابي طالب (A) في النجف الأشرف، ومرقد السيدة فاطمة بنت الامام موسى الكاظم (X) في قم المقدسة، وغيرها من التي زادت أهميتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجري (٣٣). وفي السياق نفسه، أكد المؤلف بنص قوله: " لعبت منازل العلماء دوراً مهماً في التعليم عند الامامية نظراً لعدم توفر الحرية الفكرية لهم في المساجد العامة"، ويشير بالروايات إلى ان بيوت بعض علماء الشيعة كانت اشبه بالمساجد مملوءة بالطلبة، مستشهداً ببعض الأمثلة من تلك الدور (٣٤). ثم عالج المؤلف دور التعليم الامامي في العهد البويهي الممتد بين (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م)، مشيراً إلى تمتع الامامية نوعاً من الحرية في ظل حكمهم. فاستطاعوا من نشر علومهم وتأسيسهم قواعد مذهبهم، إلى جانب السماح لهم لإنشاء خزائن الكتب ودور العلم والمدارس (٣٥)، واصفاً نماذج من تلك المؤسسات (٣٦). وحاول المؤلف تلمس البداية التاريخية لظهور المدارس عند الشيعة الامامية. معللاً قلة مدارس الامامية وندرتها في المدة التي أعقبت احتلال السلاجقة للعراق إلى الضعف العام، نتيجة مقاومة السلاجقة لحركة التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معاً (٣٧).

وتابع المؤلف في صفحات الفصل الثالث والمعنون (المعلمون) كل ما يتعلق بالعلماء وأساتذة التعليم، وأهمية دورهم، مبيناً أصنافهم. وأوكل المؤلف مهمة التعليم الاولي للمعلم، إلى جانب المؤدب، وعرف الأخير بـ(معلم خاص يتولى تعليم أولاد الخاصة)، متطرقاً إلى وضعهم الاجتماعي والمالي، إلى جانب مستواهم الثقافي (٣٨).

أما الفصل الرابع فخصص الفيّاض لبحث ركنٍ آخر في العملية التعليمية، وهم (الطلبة)، مصنّفهم إلى صبيان ومتعلمي العلوم، ويقلب المؤلف في التراث ليستطلع منه بعض النظم التي كانت تنظم سلوك الصبيان في الكتاب، مشيراً إلى التزامهم بمجموعة من القواعد، منها المظهر الجيد والامتناع عن اصطحاب الطعام. منتقلاً بعد ذلك للتعريف بوضع طلبة المراحل الأعلى وعلاقتهم بشيوخهم، مؤكداً على التزامهم بالجد والاجتهاد في الدرس^(٣٩).

وعرج المؤلف في الفصل الخامس والذي عنوانه (أساليب التعليم والمنهج) لبحث أساليب تحصيل العلم من طريقة السماع من الشيخ إلى طريقة القراءة عليه تليها طريقة المكاتبه والاجازة والمناولة. موضعاً تفاصيلها ومتطرقاً إلى أكثر الطرق التعليمية شيوعاً^(٤٠). ثم يصف المؤلف مناهج التعليم في تلك المدة بأنها كانت حرة لا تتبع لجهة رسمية تقيدها بمنهج محدد^(٤١).

أما الفصل السادس والأخير والذي عنوانه (تمويل التعليم) فقد بحث المؤلف فيه الموارد المالية للمؤسسات التعليمية عند الإمامية، وما يُنفق على الطلبة من معونات وهبات المحسنين، ومن واردات الوقف والحقوق الشرعية^(٤٢).

وتضمن كتابه (خلاصة)، أكد فيها المؤلف بعد أن بين الجوانب المهمة من كتابه، ان دراسته هذه "هي الأولى من نوعها في حقل التربية عند الإمامية، وذلك لعدم العثور على مصادر ذات شأن تبحث في التربية عندهم، وعدم وجود من تصدى، الا ما ندر"، أملاً في الوقت نفسه ان يسهم عمله بحل مشكلات التربية عند الإمامية، ويخدم حقل البحث العلمي لدى الباحثين^(٤٣). وللكتاب ملحقان، جاء الأول بعنوان (المشاهد الشيعية الشريفة ودورها في العلم والتعليم عند الإمامية) وتضمن معلومات عن أصل تلك المشاهد ونشوتها، ودورها في دراسة العلوم عند الشيعة الإمامية^(٤٤). بينما تناول الثاني (الائمة المعصومين ونبذة عن احوالهم) معلومات موجزة عن حياة الائمة الاثنا عشر المعصومين، وألقابهم، ومصدر علمهم^(٤٥).

تناول الفياض موضوعات كتابه بذهنية متفتحة وتواضع علمي في تحليله للأحداث، مستنداً الى ما هو الأصل من المصادر والمراجع. إلى جانب انه كتبه وفقاً لوجه نظر تحليلية معتمداً على طريقة البحث عن الحقيقة التاريخية كيفما كانت. ومن بين استنتاجاته التي وردت في كتابه أعلاه، قوله: " ولم تسعني المصادر التي اطلعت عليها بأدلة قطعية على وجود مدرسة عند الامامية قبل وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠ هـ^(٤٦). ومن استنتاجاته أيضاً على سبيل المثال لا الحصر، جاءت بعد عرضه لموضوع الحالة الاجتماعية والمالية لمعلمي الصبيان، قائلاً: " ان نظرة غالبية المجتمع الإسلامي في الفترة التي تناولها بحثنا لمعلمي الصبيان لم تكن تتسم بالتقدير والاحلال"^(٤٧). كما أمتاز الفياض بالأسلوب التحقيقي، فلا يقبل الروايات أو مصدراً من دون فحص وتدقيق لروايتها ومتونها، رائده الوصول للمعرفة الدقيقة الأقرب إلى الواقع. فحين يناقش المستحقات المالية التي يتقاضاها المعلمين لدى الامامية، يقول: " ولم اعثر على ما يعين المبلغ الذي يستوفيه المعلم عن تعليم الصبي الواحد سوى نص غامض للجاحظ يقول فيه ان المعلم البليغ لا يرضى دون الالف درهم حين ينتدب لتعليم الصبيان"^(٤٨). ولم يكن الفياض مستبدأ بما يطرحه من أفكار، متجلياً ذلك بقوله: " وحاولت جهد الطاقة، ان أكون موضوعياً ضمن الإطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثقى بالعقيدة كموضوعي، واترك للقارئ الحرية في قبول او تقويم او رفض الإطار الذي تصورته لموضوعي بحثي"^(٤٩)، ومن تواضعه العلمي توقفه عن استنباط النتائج عندما لا تسعفه المعطيات التاريخية، مشيراً إلى تلك الفجوات على سبيل المثال لا الحصر، ففي موضوع الامتحانات التي من خلالها يعرف الشيوخ تقدم تلاميذهم العلمي وأهليتهم للتدريس، يقول: " لم أعثر في الفترة التي تناولها بحثنا على أنظمة شكلية للامتحانات سواء في مرحلة التعليم الأولى أو مرحلة تعليم العلوم"، معللاً صمت المصادر عن إيراد الامتحانات برأيه " ان الامتحانات الشكلية المعروفة في العصور الحديثة كانت غير معروفة عند المعلمين في ذلك العصر. ويبدو ان المعلمين كانوا أحراراً في تقرير الطريقة او بالأحرى اظهار القناعة الشخصية

التي يقيمون بها معرفة الصبيان الذين يعلمونهم"^(٥٠). ولعل غايته من ذلك هو ان يحفز الباحثين ليتموا ما فاته.

مستخدماً في أحيانٍ أخرى أسلوب الترحيح، لتغليب رأي على آخر، كما فعل مع عمر الصبيان الذي يبدأ فيه التعليم، فيقول: "ونرجح من كل ما سبق ان السنة السادسة والسابعة هي التي يبدأ بها الصبي تعليمه الاولي"^(٥١). وكثيراً ما يقارن، مثلاً مقارنته بين كتابي الامالي للشيخين الصدوق والمفيد، موضحاً غايته من ذلك " لعل القارئ يستطيع الاستنتاج بالاستعانة بالمقارنة"^(٥٢). كما قارن بين المعلم والمؤدب، بما نصه " لم يكن هناك فصل تام بين عمل المعلم وعمل المؤدب... كلاهما يعلم الصبيان بالكتاب"، دليله في ذلك حديث ورد عن الجاحظ يطلق على المعلمين مؤدبين في مرة، وأخرى يسميهم معلمين. مضيفاً إلى ذلك بقوله: " وأحسب ان الفرق الرئيسي بين المعلم والمؤدب هو ان المعلم رجل ممتحن للتعليم في الكتابات.. ولكن المؤدب في الغالب هو المعلم الخصوصي لأبناء الخاصة"^(٥٣). مستشهداً في أحيانٍ كثيرة بالروايات التاريخية التي تؤكد آرائه في الحوادث التاريخية، كما في قوله: " يعنقد الامامية ان الامامة منصب يختاره الله كما يختار النبوة"^(٥٤).

الخاتمة:

• احتل كتاب (تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي) للدكتور عبد الله الفياض مكانة رفيعة بين الدراسات الاكاديمية التي اهتمت بدراسة التراث الفكري لدى المسلمين، إذ ملئ الفياض فراغاً بيئاً في المكتبة العربية بتتبعه الدقيق لتاريخ التعليم عند مذهب طائفة مهمة كالإمامية، وفي حقبة زمنية مهمة من تاريخهم امتدت لأكثر من ثلاث قرون، وقدمها للقارئ باستخدام أسلوب موضوعي غير منحاز. علماً ان عمله لم يكن يسيراً هيناً، بل تشوبه الكثير من الصعوبات بسبب ندرة المادة العلمية وتشابكها وقلة من تناولها.

- من خلال دراسة آثار الدكتور عبد الله الفيّاض في مؤلفاته ودراساته التاريخية، تبين انه أتبع منهجاً علمياً وموضوعياً، وجعله طاغياً على نتاجه الفكري بشكل عام، ذلك النتاج المتنوع بين التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث، وهذا نتيجة حذاقة الفيّاض في فهم التاريخ وتفسيره.
- وأخيراً نقول، ان مؤلفات الفيّاض ودراساته ثروة ضخمة لا يستهان بها في مجال علم التاريخ الإسلامي والمعاصر، ونرى أن من الضروري إعادة طباعتها على شكل موسوعة، وفاءً لجهوده، وفائدة للعلم وأهله.

هوامش البحث:

- (١) أوراق شخصية محفوظة لدى ذويه، هوية الأحوال المدنية (الهوية الشخصية)، الصادرة من دائرة أحوال الكرادة الشرقية في بغداد بتاريخ ٦ أيار ١٩٧٦م.
- (٢) سالم عبد الله الفيّاض، (النجل الثالث للفيّاض)، مقابلة علمية معه، بغداد، بتاريخ ٢٧ اب ٢٠١٨م.
- (٣) مقدم عبد الحسن الفيّاض، موجز عن حياة والدي وجددي، أوراق مخطوطة، محفوظة لدى المؤلف، النجف الاشرف، ورقة رقم (٣)؛ سالم عبد الله الفيّاض، مقابلة علمية، المصدر السابق.
- (٤) (الملفة الشخصية لعبد الله الفيّاض) المحفوظة في كُلية الآداب جامعة بغداد، والمرقمة (٢٧٠)، كتاب عمادة كُلية التربية/جامعة بغداد، إلى جامعة القاهرة، م/ وثيقة درجات، ذي العدد (١٥٩٩)، بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٣م.
- (٥) هو كتاب تاريخ البرامكة طبعه عام ١٩٤٨م.
- (٦) نبيلة عبد المنعم داوود، مكالمة هاتفية، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني عام ٢٠١٨م.
- (٧) الليسانس: هي شهادة جامعية تعادل شهادة البكالوريوس.
- (٨) (الملفة الشخصية)، كُلية الآداب/ جامعة بغداد، رقم ٢٧٠، كتاب عمادة كُلية التربية/جامعة بغداد، إلى جامعة القاهرة، م/ وثيقة درجات، ذي العدد (١٥٩٩)، بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٣م.
- (٩) المصدر نفسه، كتاب عمادة كلية الآداب/ القسم السري، الى رئاسة جامعة بغداد/ قسم الافراد، ذي العدد (٥٤)، بتاريخ ٣٠ أيار ١٩٧٨م.

- (١٠) (الملفة الشخصية)، كُتِبة الآداب جامعة بغداد، رقم ٢٧٠، كتاب جامعة بغداد/ السجل الشخصي، مديرية التقاعد العامة، الدكتور عبد الله الفياض، ذي العدد (٣٢١٧)، بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٧م.
- (١١) المصدر نفسه، كتاب رئاسة جامعة بغداد، امر جامعي، م/ منح إجازة دراسية، ذي العدد (١٤٠٦١) بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٦٤م.
- (١٢) المصدر نفسه.
- (١٣) المصدر نفسه، وزارة معارف الذاتية المعاهد العالية، المرقم (٤٧٣٨٣) بتاريخ ١٥ كانون اول ١٩٥٤م.
- (١٤) عبد الله الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٧م)، ص ١٣١.
- (١٥) حسن عيسى الحكيم، مقابلة علمية معه، النجف الاشرف، بتاريخ ٤ ايلول ٢٠١٨م.
- (١٦) (الملفة الشخصية)، محفوظة في كلية الآداب جامعة بغداد، رقم (٢٧٠)، جامعة بغداد الذاتية، م/معاون عميد، المرقم (١٤٢٧٢) بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦٧م؛ المصدر نفسه، كلية أصول الدين، م/ امر اداري، المرقم (١٤٢٧٢) بتاريخ ٢٣ كانون اول ١٩٦٩م؛ المصدر نفسه، أمر اداري كلية أصول الدين، م/ قبول استقالة الأستاذ عبد الله الفياض، المرقم (٥٤٨) بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٧٣م.
- (١٧) المصدر نفسه، أمر اداري من عمادة كلية الآداب /الذاتية، المرقم (١٨٩٧٢) بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٨م.
- (١٨) نجاة عبد الله الفياض، (الابنة الكبرى للفيّاض) مقابلة علمية معها، بغداد، ٢٧ آب ٢٠١٨م.
- (١٩) عبد الله الفياض، تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٢م)، صفحة الغلاف.
- (٢٠) محمد توفيق حسين : ولد في الموصل عام ١٩٢٢م، وتخرج من مدارسها عام ١٩٣٩م، ارسل بعدها ضمن البيعة العراقية إلى الجامعة الامريكية في بيروت، نال منها شهادة البكالوريوس في التاريخ عام ١٩٤٣م، كما حصل على الماجستير من جامعة أكسفورد البريطانية، مارس التدريس في كلية الآداب جامعة بغداد، كما شغل عدة مناصب منها مديرا عاما للصحافة في وزارة الثقافة عام ١٩٥٩م ، له مقالات في الصحف ومؤلفات منها: كتاب (مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ)، توفي في بغداد عام ١٩٩٨م. للمزيد ينظر: كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ - ١٩٦٩م، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٩م)، مجلد ٣، ص ١١٨.
- (٢١) عبد الله الفياض، تاريخ التربية ...، المصدر السابق، ص ص ٣-١٤.

- (٢٢) المصدر نفسه، ص ص ١٥-٢٠.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ص ٢١-٢٤.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ص ٢٣-٢٥.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ص ٢٦-٣٢.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ص ٣٥-٣٩.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ص ٤٠-٤٧.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ص ٤٨-٤٩.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ص ٥١-٥٢.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ص ٥٨-٦٤.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ص ٦٤-٦٧.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ص ٧٠-٧٣.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ص ٧٥-٧٧.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ص ٨٢-٩٥.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ص ١٠١-١٠٢.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ص ١١٢-١١٧.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ص ١٧٥-١٩٥.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ص ٢١٩-٢٤٠.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ٢٤١.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٥٣-٢٦٢.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٦٣-٢٦٦.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.
(٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(٤٧) المصدر نفسه، ص ١١٥.
(٤٨) المصدر نفسه، ص ١١٩.
(٤٩) المصدر نفسه، ص ٣١.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.
(٥١) المصدر نفسه، ص ١٧٦.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٦-٢٢٨.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

المراجع:

١. (الملفة الشخصية لعبد الله الفيّاض) المحفوظة في كُتّبة الآداب جامعة بغداد.
٢. أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (بيروت: مؤسسة العارف للطبوعات، ٢٠٠٧م).
٣. جمعية الصندوق الخيري الإسلامي، دليل كلية أصول الدين في بغداد للعام ١٩٦٧-١٩٦٨م، (بغداد: مطبعة الزهراء).
٤. حسن عيسى الحكيم، مقابلة علمية معه، النجف الاشرف، بتاريخ ٤ ايلول ٢٠١٨م.
٥. حسين علي محفوظ، كتب الحديث عند الشيعة الامامية، تحقيق جودت القزويني، (بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٦م).
٦. زاهدة إبراهيم، كشاف بالجرائد والمجلات العراقية، (بغداد: منشورات وزارة الاعلام الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م).
٧. سالم عبد الله الفيّاض، (النجل الثالث للدكتور عبد الله الفيّاض)، مقابلة علمية معه، بغداد، بتاريخ ٢٧ اب ٢٠١٨م.
٨. علي الحيدري، المدخل إلى حوض الغراف تاريخاً وحضارة: موسوعة اثارية تاريخية اجتماعية - أدبية للفترة (٢٥٠٠ ق. م ٢٠٠٠ م. ب. م)، (بغداد: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).
٩. عبد الله الفيّاض، تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٢م).

١٠. عبد الله الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٧م).
١١. عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦٨، (بغداد: مكتبة الذاكرة، ٢٠١٠م).
١٢. علي الفياض، تاريخ السادة الفياض، (النجف الاشرف: مطبعة المارد للطباعة والنشر، ٢٠١١م).
١٣. علي هادي دخيل الفياض (أحد أعمدة السادة ال فياض في الرفاعي)، مقابلة علمية معه، مدينة النجف الاشرف، بتاريخ ٢ نيسان ٢٠١٩.
١٤. كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ - ١٩٦٩م، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٩م)، مجلد ٣.
١٥. نبيلة عبد المنعم داوود، مكالمة هاتفية، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني عام ٢٠١٨م.
١٦. نجاه عبد الله دخيل، (الابنة الكبرى للفياض) مقابلة علمية معها، بغداد، ٢٧ آب ٢٠١٨م.
١٧. متي عقراوي، رسالة دار المعلمين العالية، "الأستاذ"، (مجلة)، بغداد، مجلد ٦، سنة ١٩٥٨.
١٨. مقدم عبد الحسن الفياض، موجز عن حياة والدي وجددي، أوراق مخطوطة، محفوظة لدى المؤلف، النجف الاشرف، ٢٠١٨م.